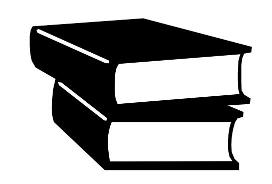
من صفات الداعية

محاضرة نفيسة

من صفات الداعية



تأليف

د . عبد الله بن محمد الشهراني







حقوق الطبع محفوظة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله العظيم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدِ ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا.

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا يا أرحم الراحمين، اللّٰهم اجعل اجتماعنا هذا مرحومًا واجعل تفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا ولا تجعل فينا ولا بيننا شقيًا ولا محرومًا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب؛ أما بعد:

فموضوعنا اليوم هو **"من صفات الداعية"**.

وبادئ ذي بدء هناك مقدمات لا بد منها بين يدي هذا الموضوع وبين يدي هذه الصفات:

يجب على العبد أن يحمد الله على اختياره الطريق القويم:

أولاً: يجب عليَّ وعليك أن نحمد الله ﷻ أن اختار لنا هذا الطريق القويم وصراطه المستقيم، فاحمد الله ﷻ أن اختارك الله لهذا الطريق وقد

أضلّ عنه قومًا آخرين -ربما كانوا أكثر منك طاقةً وأقوى منك قدرةً- لأمرٍ يعلمه ولحكمةٍ يشاؤها ﷻ، فهو ﷻ الذي صرف إلى هذا الدين "**سلمان**" من فارس، و"**صهيبًا**" من الروم، و"**بلالاً**" من الحبشة، وأبعد عنه: "**أبا لهب وأبا جهل**" وهم من أحرار قريش ومن أشراف العرب لحكمة يعملها ﷻ.

لقــد خلَّــد الــدين فينــا مثــالاً نزيـــد بـــه ألفـــة واتصـــالاً
فـــآخى صـــهيبًا وآوى بـــلالًا ونـــادى بســـلمان في الأقـــربين

فاحمد الله ﷻ أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا لهذا الأمر.

شكر الله على نعمة الهداية:

ثانيًا: لا بد من شكر نعمة الهداية، فكل نعمة لا بد من شكرها.

وإذا كنـــت في نعمـــة فارعهـــا فـــإن المعـــاصي تزيـــل الـــنعم

والشكر هو أقل ما يجب عليك تجاه أجل النعم وأعظمها وأكملها ألا وهي نعمة الهداية والاستقامة، فإن لم تُشكر فستزول كلها أو بعضها، فترى كثيرًا من الناس ظاهرهم الاستقامة، ولكن الواقع العملي لجزئيات حياتهم يتخلف كثيرًا عن هذه الاستقامة التي يتمثلون ظاهرها.

واعلم أن الله ﷻ رتب ثبات هذه النعمة وزيادتها على الشكر، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩]، فالهداية إنما تكون بعد المجاهدة، وتلك المجاهدة تبدأ منك بالشكر ، فإذا وقعت منك المجاهدة رتب الله لك عليها ثوابًا وأجرًا عاجلاً في الدنيا وهو الهداية والثبات على هذه الهداية.

والحمد لله رب العالمين

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

ما السبيل إلى الهداية؟

لا تتصور أن هذه الهداية والثبات عليها تأتي بوصفات سحرية ، بل تبدأ منك أنت؛ لأن الله رتب الهداية في الآية على المجاهدة، وكثير من الناس إذا سألته مثل هذا السؤال يجيبك بأنه يجب أن يكون لك ورد من كتاب الله ﷻ ، ومن سنة المصطفى ﷺ، وأن تكون لك رفقة صالحة ، وما أشبه ذلك ، ولكن هذه الأمور لا تجدي نفعًا إلا إذا وُجدت منك المجاهدة.

جاء رجل إلى أبي علي الدقاق، فقال: قد قطعت إليك مسافة، فقال: " ليس هذا الأمر بقطع المسافات، فارق نفسك بخطوة وقد حصل لك مقصودك " ، إذا لم تفارق الواقع الذي تعيشه بمجاهدة نفسك فما صنعت شيئًا.

كيف نؤدي شكر هذه النعمة "نعمة الهداية"؟

في تصوري أن شكر هذه النعمة يتم بالتفاعل معها، وأوضح معنى التفاعل بمثال عملي:

لو نظرت في حالنا بعد الصلاة لوجدت أننا أحد شخصين: إما شخص يستشعر المعنى في كل كلمة وحركة في صلاته، فيعي أولاً بين يدي

من يقف، **وينصت إلى قراءة الإمام** ويتدبرها، فلاشك أن مثل هذا الشخص يتنعم في صلاته ويتلذذ بها، ويود ألا يخرج من صلاته، فهذا الذي تصعد صلاته إلى السماء وتفتح لها أبوابها، وتقول حفظك الله كما حفظتني.

وشخص آخر جاء إلى صلاته بقلبٍ ساهٍ لاهٍ، فإذا دخل فيها اجتمعت عليه الشواغل فصرفته عن التدبر والتفاعل مع صلاته، بل ربما لا ينتبه إلا عند تسليم الإمام، فهذا يشعر كأنه في قفص يود الخلاص منه، فهذا تصعد صلاته إلى السماء فلا تفتح لها الأبواب، ويضرب بها وجهه، وتقول له: ضيعك الله كما ضيعتني.

والفرق بين الرجلين إنما هو التفاعل مع هذه العبادة، لذلك قال حسَّان بن عطية: " إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي صَلاةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنَّ بَيْنَهُمَا مِنَ الْفَضْلِ لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ : أَنَّ أَحَدَهُمَا يَكُونُ مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ ، وَالآخَرَ سَاهٍ غَافِلٌ "[١] .

ومما يحكى أن هارون الرشيد أراد أن يختبر فهم اثنين من أبنائه الأمين والمأمون، فقال: ليحضر لي كل منكم عشرة ثيران معممة، فأما الأمين فذهب واشترى عشرة ثيران ووضع على كل ثور عمامة وجاء بها يقودها إلى

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٧١).

أبيه، أما المـأمون فذهب إلى المسجد وانتظر بعد الصلاة ، وسأل كل خارج من المسجد ماذا قرأ الإمام في الصلاة في الركعة الأولى والركعة الثانية؟ فإن أجاب أطلقه، وإن لم يجب حبسه، حتى جمع عشرة، ثم ذهب بهم إلى أبيه، وقال: هذه عشرة ثيران معممة.

التفاعل مع الهداية على نوعين: تفاعل داخلي، وتفاعل خارجي:

التفاعل الداخلي للعبد في ذاته: على سبيل المثال إذا ذكرت الله ﷻ، فقلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ترددها بين الحين والحين وتتفاعل مع كل كلمة فتحس معها بحياة قلبك ، فإذا قلت: "لا إله إلا الله" بصدقٍ وإخلاصٍ أحسست بالإيمان يتجدد في قلبك، وهكذا.

لما قال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِذًا نَسْتَكْثِرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ»(١).

فنحن في حاجة إلى مثل هذا التفاعل مع العبادات، فإذا سمعت قول رسول الله: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٦١٠)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، وحسنه الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٩٨).

الجَنَّةِ»[١]، انفعلت لذلك وتفاعلت معه، وأقبلت على هذا الذكر العظيم، فلا يفتر لسانك عنه، وتأمل قول ابن الجوزي معلقًا على هذا الحديث: فانظر إلى مُضَيع الساعات كم يفوته من النخيل، فلو قلت: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ مائة مرة غرست لك في الجنة مائة نخلة، وتأمل هذا الحديث العظيم لتعرف عظم ما أعد الله لعباده في الجنة: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ "، قَالَ: " فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - "، قَالَ: " فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ "، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدَّعَوَاتِ – بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ (٣٤٦٤)، وصححه الألباني.

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: " فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً »(١).

فهذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بأعلاهم؟!

سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عن أعلى أهل الجنة منزلة فقَالَ سبحانه: " أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ "، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] الْآيَةَ(٢).

ويروى عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: (يا بني، عوِّد لسانك: اللّٰهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً).

وقال الحسن البصري: (أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان– باب آخر أهل النار خروجًا (١٨٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان– باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٩).

هذا التفاعل مع العبادة لا يحصل إلا بعد معرفة فضلها وقدرها عند الله، فالاستغفار على سبيل المثال يقول فيه علي بن أبي طالب: " ما أَلْهَمَ الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه "، وقد انتزع هذا المعنى من قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣ ﴾ [الأنفال:٣٣]، فأين نحن من الاستغفار ؟! ولا أعني ذلك الاستغفار الذي يكون عقيب الصلاة فقط، بل أعني الاستغفار الذي يدخل العبد في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣ ﴾، فيستغفرون فعل مضارع يفيد الدوام والاستمرار، فهو استغفار على كل حال وفي كل وقت.

تأمل قول ابن مسعود: " إذا سمعت الله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فأرعها سمعك ، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه ".

فهل هذا حالنا؟! نسأل الله المسامحة.

فمشكلتنا في التفاعل مع ما نُدعى إليه، فلو تفاعلت مع كل ما أمرك الله به لوجدت الهداية تستقر في قلبك بل تزداد ، فهذا هو النوع الأول من شكر النعمة؛ التفاعل معها داخليًا.